الأهرام

المصدر : الوفد

التاريخ : ٧ أبريل ٢٠٠٠

اعتذار قداسة البابا.. لمن؟ ونيابة عن من؟!

على المستوى الشخصى، فان اعتذار قداسة البابا يوحنا بولس الثانى بابا الفاتيكان للعرب من جراء ما حدث لهم اثناء الغزو الصليبى للشرق العربى وخلال الحملات المتتالية للسيطرة والتوسع من قبل الذين عمدوا الى تسخير الدين من اجل الغنائم المادية وقتل الابرياء التى نهاهم عنها السيد المسيح، يعتبر هذا الاعتذار قمة الشجاعة المسئولة والتى لا يتحلى بها سوى القلائل من الذين تمكن البأس من شغاف قلوبهم، نحن نقدر له اعتذاره ومحاولته التكفير عن ذنوب الاسلاف، هذا على المستوى الشخصى.

اما على المستوى العام فلنا تساؤلات فلمن يقدم قداسة البابا اعتذاره هل يقدمه لكل العرب والمسلمين والمسيحيين فى الشرق لأنهم ذبحوا بعد صرخة البابا اوربان الثانى للجيوش المتعصبة للغزو والفتك والمتأهبة للذهاب للارض المقدسة حيث قبر المسيح عليه السلام وحيث الذهب وكنوز الشرق، فالرب يريد هذه الحرب كما صرخ البابا اوربان الثانى عام ١٠٩٥: وهيا اذهبوا واستردوا ارضا وعدها الرب لخراف اسرائيل، هكذا كانت نداءات البابا، وبدأت الحرب ولم تنته، وخلالها حدثت المجازر الرهيبة فى كل المدن العربية التى احتلت، فقد كانت الدماء تصل الى ركب الرجال والجثث تصل الى أسقف البيوت، كما اكد ذلك المنصفون من مؤرخى الغرب، وما حدث فى الشرق حدث فى الغرب فى اسبانيا التى كانت الاندلس عندما اقيمت محاكم التفتيش الرهيبة منذ سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ حتى افرغت الارض من كل العرب بالقتل والتهجير والاغراق فى المحيط والمتوسط.

وما حدث مع العرب حدث مع غيرهم، عندما اباد الغرب الهنود الحمر فى الارض الجديدة لإقامة ممالك تحمل قيم وتراث العالم الغربى، وعندما اجبر الاوروبيون الصين لفتح ابواب بلادهم لتجارة الافيون، ومرورا بما فعلوه فى الهند ووسط وجنوب افريقيا، وفى كل شبر وطأته اقدامهم ، انها مهمة عسيرة عندما يفتح باب الاعتذار وتكفير الذنوب عما فعله الغرب فى معظم دول العالم، فلو فتح هذا الباب لاعلن عن سقوط كل القيم التى نادى بها الاوروبيون باعتبارهم حملة رسالة مقدسة لحضارة كل دول العالم، والسقوط الأشد هو فى اعتبار كل ما تمسحوا به من نشر كلمة الرب عبارة عن قناع ليوهموا به العامة من شعوبهم بانهم يعملون على حمل الشعوب على قراءة الكتاب المقدس، وتكريز السيد المسيح بملكوت الرب، ولكن السيد المسيح لعن امثال هؤلاء الذين يسفكون الدماء حتى وهم بجوار قبره، وحتى لو امسكوا بغصون الزيتون، واذا كان الاعتذار عما فعله الاسلاف يغلق ملف الماضى الدامى، فانه بالنسبة لليهود يعتبر بداية لا لتقديم الاعتذار عما يسمى بمحرقة النازى، ولكن منذ تشتت اليهود فى كل دول العالم وما حدث لهم فى الغرب من مجازر حتى لو كانت مجازر موهومة عبر ازمنة التاريخ، ولم تكن تبرئة اليهود من دم المسيح الا المفتاح الذى فتح به باب الاعتذار ومن ثم التكفير عن ذنوب الكنيسة البروتستانتية التى اقيم الهولوكست فى ارض مولدها رغم اعتبارها من اكبر المؤيدين لتوطين اليهود فى فلسطين، هذا اذا كان قداسة البابا يعنى ان ملف التكفير ما زال مستمرا بالنسبة لليهود دون غيرهم من الشعوب الذين اكتووا بنيران من يحملون السيف فى يد والتكريز فى الاخرى، واعتقد ان الامر لن يقف عند حد الاعتذار لليهود وسنرى فى المستقبل من يعتبر الغرب مسئولا عن تشرد قبائل اسرائيل فى العالم وان المثالية العالمية وحدها تقتصر عليهم دون غيرهم، ولذلك يستمر التساؤل لمن يقدم الاعتذار؟ والى متى؟ وكيفية التكفير عن مثل هذه الذنوب؟ والامر يقودنا للتساؤل الثانى نيابة عن من يقدم قداسة البابا اعتذاره، هل نيابة عن الجنس الابيض وحده ام عن كل المسيحيين فى العالم، المسيحيون فى مصر والشرق بصفة عامة اكتووا بنار التعصب الغربى قبل غيرهم ويجب الاعتذار لهم قبل اى شعوب اخرى منذ حاول البيزنطيون فرض اعتقادهم فى السيد المسيح وفى سبيل ذلك فقد استشهد الآلاف فى سبيل عقيدتهم وفى سبيل ما يؤمنون به ولم يستطع القادمون من الشمال نسخ ما يؤمن به مسيحيو مصر خاصة، وبالتالى فاننا مطالبون بان نعرف نيابة عن من الاعتذار حتى نستوثق بان ما حدث فى الماضى لن يتكرر فى المستقبل لانه يتكرر فى الحاضر.

وليكن لكل الغرب اسوة فى البابا يوحنا حيث لابد من اعتذار الارثوذكس فى روسيا والبروتستانت مع الكاثوليك حيث كلهم آتون من الشمال عما فعلوه فى الامم الاخرى دون اعتبار لدين يدين به البعض مثلهم ويدين الآخرون باديان اخرى.. تلك فريضة علينا وعليهم، علينا ألا نصمت ونعتبر كل ما يأتى منحة لا يجب رفضها، ولسنا ننبش الماضى، ولكن ما نشاهده من دعم لدولة اسرائيل يجعلنا ننظر للماضى كثيرا نستمد منه العبر. ان المستقبل جنى الماضى والحاضر على السواء وان الخوف مما يأتى من الشمال عبر المتوسط له دوما ما يبرره، كما ان السلام الذى يجب ان يكون هو فى استلهام الحكمة من ان احتلال اراضى الغير وقمع الانتفاضات وذبح الآلاف من العرب فى فلسطين لا يمكن ان يكون سلاما حتى لو قيل عنه انه سلام دائم وعادل وشامل، حتى لو ادعوا ان ما لا يدرك كله لا يترك جله، ومع كل ذلك فاننا نحيى شجاعة قداسة البابا الذى فعل ما لم يفعله غيره وتمكن ان يتخطى حاجزا ظن غيره انه من المقدسات وان كلمة اللنبى فوق قبر صلاح الدين «ها قد عدنا يا صلاح الدين» هى التى يجب ان تظل مهيمنة فوق الارض المقدسة وفى العقول المتكبرة..

تحياتنا له وفرض علينا ان نعمل على اخراج ارث الندم الكامل من نفوس الغرب، فهل تراانا فاعلين؟ وكيف؟ وهل تراهم حالمين مثلنا حتى ينقضى الف عام فى يوم؟ ثم وماذا عنا نحن ألا نستفيق ونحرر شعوبنا من استبداد طال انتظار الافراج عنا منه، وهل نتوقع نحن الشعوب ان يعتذر لنا حكامنا عن طول ما فعلوه بنا لا اعتقد ذلك.

على أبو الخير

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية